

تفسير سورة السجدة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❀)

(المر ١) نَزَّلَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
أَفْتَرَبُهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يَدِيرُ
الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا
تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ
كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ
مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ
أِذْنَا لَنُفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ ❀ قُلْ يَتُوقِنُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ
الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ❀ [السجدة: (١-١١)].

س: وضع معنى ما يلي:

﴿المر﴾ - لا ريب فيه - العالَمين - أقرنه - نذير - يهتدون - يعرج - علم الغيب والشهادة - العزيز - أحسن - الإنسن - نسله - سللة - مهين﴾.

ج:

معناها	الكلمات
أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله	﴿المر﴾
لا شك فيه	﴿لا ريب فيه﴾
السموات والأرض وما بينهما - الإنس والجن	﴿العالَمين﴾
اختلقه من عند نفسه	﴿أقرنه﴾
رسول ينذرهم	﴿نذير﴾
يوفقون للخير - يسلكون طريق الهداية	﴿يهتدون﴾
يصعد	﴿يعرج﴾
عالم ما غاب وما ظهر	﴿علم الغيب والشهادة﴾
الذي لا يغلب	﴿العزيز﴾
أتقن	﴿أحسن﴾
المراد به هنا آدم <small>عليه السلام</small>	﴿الإنسن﴾
ذريته	﴿نسله﴾
ماء (منياً) منسلاً خارجاً	﴿سللة﴾
حقير - ضعيف	﴿مهين﴾



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأَرِيَبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - : تنزيل القرآن الذي أنزل عليك إنما هو من رب العالمين، لا كما يقول المبطلون أنه أساطير الأولين، وليس كما يقولون: إن هذا إلا سحر يؤثر.

أما العالمين فالمراد السموات والأرض وما بينهما ويدخل في ذلك الإنس والجن.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأَرِيَبَ فِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: تنزيل الكتاب الذي نزل على محمد ﷺ، لا شك فيه (مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) : يقول: من رب الثقلين: الجن والإنس.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: قال: ﴿الَّذِي تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأَرِيَبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه.

قال الطبري:

وإنما معنى الكلام: أن هذا القرآن الذي أنزل على محمد لا شك فيه أنه من عند الله، وليس بشعر ولا سجع كاهن، ولا هو مما تخرصه محمد ﷺ، وإنما كذب جل ثناؤه بذلك قول الذين: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكتبتَها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً [الفرقان: ٥] وقول الذين قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

ومعنى ﴿لَأَرِيَبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: لا شك فيه أنه من عند الله فليس

بسحر ولا شعر ولا كهانة ولا أساطير الأولين.

س: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة بسورتي السجدة و«هل أتى» الإنسان اذكر ما يدل على ذلك.

ج: أخرج البخاري ومسلم^(١) من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة: ﴿الْم تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وَهَذَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَنْتُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - يقولون عن رسول الله ﷺ أنه اختلق هذا القرآن وتقول له من عند نفسه، فكذبهم الله ﷻ في قيلهم هذا، وقال: بل هو الحق قد نزل من عند الله ﷻ عليك لتنذر قوماً وهم أهل مكة ما أتاهم من نذير أي من رسول من قبلك لعلهم يوفقوا لطاعة الله ﷻ وسلوكوا طريقه.

قال الطبري رحمته:

وقوله: (أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرْتَهُ) يقول تعالى ذكره: يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه، وتكذبه، و(أم) هذه تقرير، وقد بينا في غير موضع من كتابنا، أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدم بعضه أنه يستفهم بأم. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: ويقولون. وقال: أم بمعنى الواو، بمعنى بل في مثل هذا الموضع، ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال: ما

(١) البخاري (٨٩١)، ومسلم (٨٨٠).

هو كما تزعمون وتقولون من أن محمداً افتراه، بل هو الحق والصدق من عند ربك يا محمد، أنزله إليك؛ لتنذر قوماً بأس الله وسطوته، أن يحلّ بهم على كفرهم به (مَا أَنْتُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ) يقول: لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم، وهم قومه من قريش، نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يقول: ليتبينوا سبيل الحق فيعرفوه ويؤمنوا به.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: ﴿لُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْتُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال: كانوا أمة أمية، لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

ج: هذا تذكير من الله ﷻ لعباده بأنه سبحانه وتعالى وحده لا شريك له هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام (قيل من أيام الدنيا) ثم استوى (قيل في اليوم السابع) على العرش ما لكم غير الله من وليٍّ يتولاكم وينصركم ويحفظكم ولا شفيع يشفع لكم إلا بإذنه أفلا تتعظون وتعتبرون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له أيها الناس ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من خلق ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي

سِتَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴿١٦٥﴾ في اليوم السابع. يقول: ما لكم أيها الناس إله إلا من فعل هذا الفعل، وخلق هذا الخلق العجيب في ستة أيام.

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِّن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ يقول: ما لكم أيها الناس دونه ولي يلي أمركم وينصركم منه إن أراد بكم ضرًا، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه، يقول: فإياه فاتخذوا وليًّا، وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم؛ فإنه يمنعكم إذا أراد منكم ممن أرادكم بسوء، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو؛ لأنه لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفلا تعتبرون وتشفكون أيها الناس، فتعلموا أنه ليس لكم دونه ولي ولا شفيع، فتفردوا له الألوهة، وتخلصوا له العبادة، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى أنه الخالق للأشياء، فخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش. وقد تقدم الكلام على ذلك. ﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِّن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي: بل هو المالك لأزمة الأمور، الخالق لكل شيء، المدبر لكل شيء، القاهر على كل شيء، فلا ولي لخلقه سواه، ولا شفيع إلا من بعد إذنه. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يعني: أيها العابدون غيره، المتوكلون على من عداه - تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو نديد، أو وزير أو عديل، لا إله إلا هو ولا ربَّ سواه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

وليست ثم للترتيب وإنما هي بمعنى الواو ﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِّن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾

أي: ما للكافرين من ولي يمنع من عذابهم ولا شفيح ويجوز الرفع على
الموضع ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ في قدرته ومخلوقاته.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ
كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

ج: الظاهر لي من أقوال أهل العلم فيها - والله أعلم بالصواب - ما يلي:
يُدبر الله ﷻ أمر الخلائق وهو على عرشه وتنزل الملائكة بهذا الأمر إلى
الأرض وإلى الخلق ثم تصعد الملائكة بأعمال العباد إلى ربها ﷻ، كل ذلك
(وقت التنزل ووقت الصعود في زمن يسير جدًا لو قُدِّرَ بأزمتكم لكان يعدل
ألف سنة من السنين التي تحتسبونها في حياتكم، وبهذا جاءت أقوال عدد من
أهل العلم).

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: الله هو الذي يدبر الأمر من أمر خلقه من السماء إلى
الأرض، ثم يعرج إليه.

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ
سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ فقال بعضهم: معناه: أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض،
ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد، وقدر ذلك ألف سنة مما تعدون
من أيام الدنيا؛ لأن ما بين الأرض إلى السماء خمسمائة عام، وما بين السماء
إلى الأرض مثل ذلك، فذلك ألف سنة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي
يَوْمٍ﴾ من أيامكم ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يقول: مقدار مسيره في ذلك

اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم من أيام الدنيا خمسمائة سنة نزوله،
وخمسمائة صعوده فذلك ألف سنة.

وأورد أقوالاً آخر ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من
قال: معناه: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار
ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه، ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدّون
من أيامكم، خمسمائة في النزول، وخمسمائة في الصعود؛ لأن ذلك أظهر
معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي: يتنزل أمره من أعلى
السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة، كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ إِلَيْهِنَّ لِئَلِمْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وتُرفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينها وبين الأرض
مسيرة خمسمائة سنة، وسُمك السماء خمسمائة سنة.
وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة
عام، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين؛ ولهذا قال
تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.



س: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ من الذي يعرج إليه؟

ج: قيل الملك الذي نزل بالأمر كما قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ
إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٦).

ج: المعنى - والله أعلم-: أن الذي يدبر الأمر من السماء والأرض هو الله ﷻ العالم بكل شيء، عالم بالظواهر والبواطن عالم ما غاب وما ظهر، وما أخفي وما أعلن العزيز الذي لا يُغلب، الرحيم بعباده.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات، هو ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ﴾، يعني عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس، فلا تبصرونه مما تكنه الصدور وتخفيه النفوس، وما لم يكن بعد مما هو كائن، ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ يعني: ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعايته وما هو موجود ﴿الْعَزِيزُ﴾ يقول: الشديد في انتقامه ممن كفر به، وأشرك معه غيره، وكذب رسله ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمن تاب من ضلّالته، ورجع إلى الإيمان به وبرسوله، والعمل بطاعته، أن يعذّبه بعد التوبة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: المدبر لهذه الأمور الذي هو شهيد على أعمال عباده، يرفع إليه جليلها وحقيرها، وصغيرها وكبيرها - هو ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي قد عزّ كل شيء فقهره وغلبه، ودانت له العباد والرقاب، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين. فهو عزيز في رحمته، رحيم في عزته.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي علم ما غاب عن الخلق وما حضرهم وذلك بمعنى أنا حسبما تقدم بيانه في أول البقرة وفي الكلام معنى

التهديد والوعيد أي: أخلصوا أفعالكم وأقوالكم فإني أجازي عليها.



س: في قوله: ﴿خَلَقَهُ﴾ قراءتان وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: أما القراءة الأولى فهي ﴿خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام على أنها فعل ماضٍ. وقوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ معناها - والله أعلم - : الذي أحسن الأشياء ولما خلقها أي الذي خلقها حسنة، وقيل: الذي أتقن كل شيء وأحكمه.

أما القراءة الثانية فهي ﴿خَلَقَهُ﴾ بتسكين اللام والمعنى الذي ألهم كل شيء خَلَقَهُ والذي أعلم كل شيء خَلَقَهُ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بسكون اللام. وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء صحيحتا المعنى، وذلك أن الله أحكم خلقه، وأحكم كل شيء خلقه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: أتقن كل شيء وأحكمه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الذي حسن خلق كل شيء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعلم كل شيء خلقه، كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه، وأن قوله: ﴿أَحْسَنَ﴾ إنما هو من قول القائل: فلان يحسن كذا، إذا كان يعلمه.

MOSTAFAALADWY.COM

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب على قراءة من قرأه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام قول من قال: معناه أحكم وأتقن؛ لأنه لا معنى لذلك إذ قرئ كذلك إلا أحد وجهين: إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان، أو معنى التحسين الذي هو في معنى الجمال والحسن، فلما كان في خلقه ما لا يشك في قبحه وسماجته، علم أنه لم يُعَن به أنه أحسن كل ما خلق، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعه، وأما على القراءة الأخرى التي هي بتسكين اللام، فإن أولى تأويلاته به قول من قال: معنى ذلك: أعلم وألهم كل شيء خلقه، هو أحسنهم، كما قال: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ﴿طه: ٥٠﴾؛ لأن ذلك أظهر معانيه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُُلَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : أن الله ﷻ هو الذي أحسن خلق كل شيء وبدأ خلق الإنسان الذي هو آدم ﷺ من طين ثم جعل ذريته من ماءٍ ضعيف (وهو المني) ينسل انسلالاً فيخرج من آدم ﷺ فينصب في رحم حواء ﷺ وهكذا سائر ذرية آدم الذكور والإناث خُلِقُوا من ماءٍ مهين.

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ فهو عائد على قوله وبدأ خلق الإنسان من طين ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: وبعد أن خلق آدم ﷺ من طين سواه، أي جعله سويًا معتدلًا ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم (يا بني آدم) السمع والأبصار

والأفئدة، وقلّ منكم من يشكر، وإن شكرتم فشركم قليل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وبدأ خلق آدم من طين ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ يعني: ذريته ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾، يقول: من الماء الذي انسل فخرج منه. وإنما يعني من إراقة من مائه، كما قال الشاعر:

فجاءت به غضب الأديم غَضُنْفَرًا سُلَالَةً فَرَجٍ كَانَ غَيْرَ حَصِينٍ

وقوله: ﴿مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ يقول: من نطفة ضعيفة رقيقة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ وهو خلق آدم، ثم جعل نسله: أي ذريته من سلالة من ماء مهين، والسلالة هي: الماء المهين الضعيف.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم سوى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين خلقًا سويًا معتدلاً ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ فصار حيًا ناطقًا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يقول: وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات، والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة، تعقلون بها الخير من سوء، لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك. وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يقول: وأنتم تشكرون قليلًا من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: إنه الذي أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها.
وقال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ قال: أحسن
خلق كل شيء. كأنه جعله من المقدم والمؤخر.
ثم لما ذكر خلق السموات والأرض، شرع في ذكر خلق الإنسان فقال:
﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ يعني: خلق أبا البشر آدم من طين.
﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: يتناسلون كذلك من نطفة تخرج
من بين صلب الرجل وترائب المرأة.
﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ يعني: آدم، لما خلقه من تراب خلقه سويًا مستقيمًا، ﴿وَنَفَخَ
فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ ، يعني: العقول، ﴿قَلِيلًا مَّا
تَشْكُرُونَ﴾ أي: بهذه القوى التي رزقكموها الله ﷻ، فالسعيد مَنْ استعملها في
طاعة ربه عز وجل.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ يعني: آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن
مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ تقدم في (المؤمنون) وغيرها. وقال الزجاج: من ماء مهين ضعيف
وقال غيره: مهين لا خطر له عند الناس. ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ رجع إلى آدم أي: سَوَّى
خلقته ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ ثم رجع إلى ذريته فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ وقيل: ثم جعل ذلك الماء المهين خلقًا معتدلًا وركب فيه
الروح وأضافه إلى نفسه تشريفًا وأيضًا فإنه من فعله وخلقته كما أضاف العبد
إليه بقوله: عبدي وعبر عنه بالنفخ؛ لأن الروح في جنس الريح وقد مضى هذا
مبينًا في النساء وغيرها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: ثم أنتم لا تشكرون بل

تكفرون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ آءِذَا لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ

بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الكفر قالوا مُستنكرين البعث مُنكرين الحساب: أئنذا متنا وصرنا ترابًا وتفرقت أجسادنا هاهنا وهاهنا واختلطت هل سنبعث مرةً ثانية، أحياء بعد الموت، فنعم سيبعثون، ولكنهم جاحدون البعث منكرون الثواب والعقاب منكرون للقاء الله ﷻ.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقال المشركون بالله، المُكذَّبون بالبعث: ﴿ آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: صارت لحومنا وعظامنا ترابًا في الأرض وفيها لغتان: ضَلَلْنَا، وَضَلَلْنَا. بفتح اللام وكسرها، والقراءة على فتحها وهي الجوداء، وبها نقرأ. وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ: ﴿ آءِذَا ضَلَلْنَا ﴾ بالصاد، بمعنى: أئننا، من قولنا: صلَّ اللحم وأصلَّ إذا أنتن. وإنما عنى هؤلاء المشركون بقولهم: ﴿ آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: إذا هلكت أجسادنا في الأرض؛ لأن كلَّ شيء غلب عليه غيره حتى خفي فيما غلب، فإنه قد ضلَّ فيه، تقول العرب: قد ضلَّ الماء في اللبن: إذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه، ومنه قول الأخطل لجريز:

كُنْتَ الْقَدَى فِي مَوْجِ أَكْدَرٍ مُزْبِدٍ قَدَفَ الْآتِيَّ بِهِ فَضَلَّ ضَالًّا

وأورد الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ آءِذَا لَنِي خَلْقٍ

جَدِيدٍ ﴾ قال: ﴿ وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا آءِذَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء: ٤٩].

وقوله: ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين

جحود قدرة الله على ما يشاء، بل هم بلقاء ربهم كافرون؛ حذرا لعقابه، وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه، فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم في المعاد.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا: ﴿أَءَٰذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِى: تمرقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت، ﴿أَءِنَّا لَنَعُوذُ بِكَ مِنْهَا﴾؟ أي: أئنا لنعوذُ بعد تلك الحال؟! يستبعدون ذلك، وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قُدْرَتِهِم العاجزة، لا بالنسبة إلى قُدْرَةِ الذي بدأهم وخلقهم من العدم، الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون؛ ولهذا قال: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ أي ليس لهم جحود قدرة الله تعالى عن الإعادة لأنهم يعترفون بقدرته ولكنهم اعتقدوا أن لا حساب عليهم وأنهم لا يلقون الله تعالى.



س: هل ملك الموت له أعوان أم لا؟

ج: نعم له أعوان، قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١] وقال تعالى: ﴿وَالنَّزِعَاتِ غَرَقًا﴾ [١] وَالنَّشِيطِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ١-٢].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِنُورِكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾.

ظاهر هذه الآية الكريمة أن الذي يقبض أرواح الناس ملك واحد معين، وهذا هو المشهور، وقد جاء في بعض الآثار أن اسمه عزرائيل. وقد بينَّ تعالى في آيات أخر أن الناس تتوفاهم ملائكة لا ملك واحد؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِضُرْبِ بُوتٍ وَجُوهِهِمْ وَأَدْبُرِهِمْ﴾ [محمد: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ الآية [الأنعام: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّيْتَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [٦١] ﴿[الأنعام: ٦١] إلى غير ذلك من الآيات.

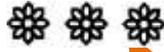
وإيضاح هذا عند أهل العلم: أن الموكل بقبض الأرواح ملك واحد، هو المذكور هنا، ولكن له أعوان يعملون بأمره ينتزعون الروح إلى الحلقوم، فيأخذها ملك الموت، أو يعينونه إغانة غير ذلك.

وقد جاء في حديث البراء بن عازب الطويل المشهور: أن النبي ﷺ ذكر فيه: «أن ملك الموت إذا أخذ روح الميت أخذها من يده بسرعة ملائكة فصعدوا بها إلى السماء»، وقد بينَّ فيه ﷺ ما تعامل به روح المؤمن وروح الكافر بعد أخذ الملائكة له من ملك الموت حين يأخذها من البدن، وحديث البراء المذكور صححه غير واحد، وأوضح ابن القيم في كتاب «الروح»، بطلان تضعيف ابن حزم له.

والحاصل: أن حديث البراء المذكور، دلَّ على أن مع ملك الموت ملائكة آخرين يأخذون من يده الروح، حين يأخذها من بدن الميت. وأمَّا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فلا إشكال فيه؛ لأن الملائكة لا يقدر أن يتوفوا أحداً إلا بمشيئته جلَّ وعلا: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ

اللَّهِ كِنْبًا مُّوَجَّلًا ﴿١٤٥﴾ [آل عمران: ١٤٥].

فتحصل: أن إسناد التوفي إلى ملك الموت في قوله هنا: ﴿قُلْ يَنُوفِكُمْ مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾، لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وأن إسناده للملائكة في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية، ونحوها من الآيات؛ لأن لملك الموت أعوانًا يعملون بأمره، وأن إسناده إلى الله في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، لأن كل شيء كائنًا ما كان لا يكون إلا بقضاء الله وقدره، والعلم عند الله تعالى.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَنُوفِكُمْ مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المنكرين للبعث المنكرين للقاء الله ﷻ يقبض أرواحكم ملك الموت عند انقضاء آجالكم، فقد وُكِّلَ ملك الموت بذلك وكل بقبض الأرواح عند انقضاء الأجال، وقد قيل إن ملك الموت اسمه عزرائيل، ولم يثبت بذلك خبرٌ عن النبي ﷺ، هذا، ولملك الموت أعوان كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾.

هذا، وبعد أن يقبض ملك الموت أرواحكم وتموتوا وتقوم قيامتكم ترجعون إلى ربكم ﷻ فيجازى المحسن بإحسانه ويجازى المسيء بإساءته.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: ﴿يَنُوفِكُمْ مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾، يقول: يستوفي عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل

بقبض أرواحكم، ومنه قول الراجز:

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدٍ وَلَا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدِ

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: من بعد قبض ملك الموت أرواحكم إلى ربكم يوم القيامة، تردون أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم فيجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿قُلْ يَتُوفَّئِكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ قال: ملك الموت يتوفاكم، ومعه أعوان من الملائكة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال: ﴿قُلْ يَتُوفَّئِكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾، الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة، كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة «إبراهيم»، وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل، وهو المشهور، قاله قتادة وغير واحد، وله أعوان. وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد، حتى إذا بلغت الحلقة تناولها ملك الموت.

وقال: وقوله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم معادكم وقيامكم عن قبوركم لجزائكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قال ابن عطية بعد ذكره الحديث: وكذلك الأمر في بني آدم إلا أنه نوع شرف بتصرف ملك وملائكة معه في قبض أرواحهم فخلق الله تعالى ملك الموت وخلق على يديه قبض الأرواح واستلالها من الأجسام وإخراجها منها وخلق الله تعالى جندا يكونون معه يعلمون عمله بأمره فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ

إذِ تَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ﴿ [الأنفال: ٥٠] وقال تعالى: ﴿ تَوَفَّيْتَهُمْ رَسُولَنَا ﴾ [الأنعام: ٦١] وقد مضى هذا المعنى في الأنعام والبارئ خالق الكل الفاعل حقيقة لكل فعل قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢] ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ [الملك: ٢] ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فملك الموت يقبض والأعوان يعالجون والله تعالى يزهد الروح وهذا هو الجمع بين الآي والحديث لكنه لما كان ملك الموت متولي ذلك بالوساطة والمباشرة أضيف التوفي إليه كما أضيف الخلق للملك.



MOSTAFARADWIY.COM

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِء تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾﴾

[السجدة: ١٢-٢٠]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿تَاكْسُوا رُءُوسِهِمْ - أَبْصَرْنَا - وَسَمِعْنَا - مُوقِنُونَ - هُدَيْهَا - حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي - فَسَبَّتُمْ - فَسَبَّتَكُمْ - خَرُّوا سُجَّدًا - تَتَجَافَى - الْمَضَاجِعَ - خَوْفًا - وَطَمَعًا - قُرَّةَ أَعْيُنٍ - فَاسْقَا - جَنَّاتِ الْمَأْوَى - فَمَا وَنَهُمْ﴾

ج:

معناها	الكلمة
خافضوا رءوسهم (خجلاً وحياءً وحُزناً)	(تَاكْسُوا رُءُوسِهِمْ) ❖
رأينا الحق	(أَبْصَرْنَا) ❖
سمعنا الحق	(وَسَمِعْنَا) ❖
متيقنون - قد أيقنا	(مُوقِنُونَ) ❖
إيمانها - توفيقها للخير والإيمان	(هُدَيْهَا) ❖
وجب قولي (على الكفار) وتحقق فيهم مرادي	(حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي) ❖
تركتم العمل	(فَسَبَّتُمْ) ❖
تركتكم في العذاب	(فَسَبَّتَكُمْ) ❖
نزلوا من القيام للسجود (وهووا إليه)	(خَرُّوا سُجَّدًا) ❖
تتنحي - تبتعد - أماكن النوم	(تَتَجَافَى) ❖
خوفاً من غضبه وناره	(خَوْفًا) ❖
طمعاً في رضاه وجنته	(وَطَمَعًا) ❖
ما تستقر به الأعين فلا تنظر إلى شيء آخر	(قُرَّةَ أَعْيُنٍ) ❖

خارجًا على الطاعة - كافرًا (وهو المراد هنا)	(فَاسِقًا) ﴿
جنات الإقامة الدائمة التي يأوون إليها	(جَنَّاتِ الْمَأْوَىٰ) ﴿
فمصيرهم الذي يصيرون إليه	(فَمَا وَهُمْ) ﴿



ب: رَضِحَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾

ج: المعنى - والله أعلم - ولو ترى يا رسول الله، وكذا ولو ترى يا ابن آدم أهل الإجرام الذين كانوا في الدنيا أهل إجرام، وما آل إليه أمرهم يوم القيامة لرأيت منظرًا عجيبًا ولرأيت أحوالًا مهولة تراهم خافضوا رؤوسهم حياءً وخجلًا من الله ﷻ يقولون: يا ربنا قد أبصرنا الحق الذي كنا في الدنيا لا نراه وسمعناه كذلك فيا ربنا ردنا إلى الحياة الدنيا كي نعمل أعمالًا صالحة تنجيننا من عذابك فقد أيقنا أن قولك الحق ووعدك الحق.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين: ﴿أَءَذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَتَأْتِنَا لُغِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إذ هم ناكسوا رؤوسهم عند ربهم حياءً من ربهم. للذي سلف منهم من معاصيه في الدنيا، يقولون: يا ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما كنا نكذب به من عقابك أهل معاصيك ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا ﴿فَارْجِعْنَا﴾ يقول: فارددنا إلى الدنيا نعمل فيها بطاعتك، وذلك العمل الصالح ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ يقول: إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا جهالاً من وحدانيتك وأنه لا يصلح أن يُعبد سواك، ولا ينبغي أن يكون رب

سواك، وأنتك تحيي وتميت، وتبعث من في القبور بعد الممات والفناء وتفعل ما تشاء.

وقال الحافظ ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة، وحالهم حين عاينوا البعث، وقاموا بين يدي الله حقيرين ذليلين، ناكسي رؤوسهم، أي: من الحياء والخجل، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك، كما قال تعالى: ﴿اسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨]. وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]. وهكذا هؤلاء يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا﴾ أي: إلى الدار الدنيا، ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: قد أيقنا وتحققنا أن وعدك حق ولقاءك حق، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارًا يكذبون آيات الله ويخالفون رسله، كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذُ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢٧] بل بدأهم ما كانوا يخفون من قبلٌ ولو رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٩].

وقال القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ابتداء وخبر قال الزجاج: والمخاطبة للنبي ﷺ مخاطبة لأمته والمعنى: ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب، ومذهب أبي العباس غير هذا وأن يكون المعنى: يا محمد قل للمجرم ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم لندمت على ما كان منك. ناكسو رؤوسهم أي: من الندم والخزي

والحزن والذل والغم عند ربهم أي: عند محاسبة ربهم وجزاء أعمالهم ربنا أي: يقولون ربنا ﴿أَبْصَرْنَا﴾ أي: أبصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر وقيل: أبصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك أبصروا حين لا ينفعهم البصر وسمعوا حين لا ينفعهم السمع فأرجعنا أي: إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: مصدقون بالبعث قاله النقاش وقيل: مصدقون بالذي جاء به محمد ﷺ أنه حق قاله يحيى بن سلام قال سفيان الثوري: فأكذبهم الله تعالى فقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] وقيل: معنى إنا موقنون أي: قد زالت عنا الشكوك الآن وكانوا يسمعون ويبصرون في الدنيا ولكن لم يكونوا يتدبرون وكانوا كمن لا يبصر ولا يسمع فلما تنبهوا في الآخرة صاروا حينئذ كأنهم سمعوا وأبصروا وقيل: أي ربنا لك الحجة فقد أبصرنا رسلك وعجائب خلقك في الدنيا وسمعنا كلامهم فلا حجة لنا فهذا اعتراف منهم ثم طلبوا أن يردوا إلى الدنيا ليؤمنوا.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [١٣].

ج: المعنى -والله أعلم- ولو شئنا لجعلنا الخلق كلهم مؤمنين أهل إيمانٍ ولأعطينا كل نفس تقواها كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، وكما قال تعالى: ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، ولكن حق القول مني، ذلكم القول الذي قلته والقضاء الذي قضيته قبل أن أخلق الخلق ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ شِئْنَا ﴿١٤٠﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿١٤١﴾ لَأَيْنَأُ ﴿١٤٢﴾ هُوَ لَاءَ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ مِنْ قَوْمِكَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ ﴿١٤٣﴾ هُدَيْتُهَا ﴿١٤٤﴾ يَعْنِي: رَشَدَهَا وَتَوْفِيقَهَا لِلْإِيمَانِ بِاللَّهِ ﴿١٤٥﴾ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴿١٤٦﴾ يَقُولُ: وَجِبَ الْعَذَابُ مِنِّي لَهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾ يَعْنِي: مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالْكَفْرِ بِاللَّهِ مِنْهُمْ.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَيْنَأُ كُلَّ نَفْسٍ هُدَيْتُهَا﴾ قال: لو شاء الله لهدى الناس جميعاً، لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية، فظلت أعناقهم لها خاضعين، ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ حق القول عليهم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقال هاهنا: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَيْنَأُ كُلَّ نَفْسٍ هُدَيْتُهَا﴾ ، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩].
﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من الصنفين، فدارهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها، نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [١٤].

ج: المعنى - والله أعلم - فذوقوا العذاب بما تركتم العمل ليومكم هذا، فإننا تركناكم في العذاب وأهملناكم كما أهملتم أنفسكم وتركتم تقويمها في الدنيا أو تركتم آياتي، فالجزاء من جنس العمل كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ إِذْ تَدْعُ النَّاسَ إِلَى الدِّينِ وَقَدْ كُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [طه: ١٢٦].

هذا قوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حاصل معناه: وذوقوا عذاب النار التي تخلدون فيها جزاءً على سيء أعمالكم التي عملتموها في دنياكم والتي منها شرككم بالله ﷻ.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء المشركين بالله إذا هم دخلوا النار: ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا، ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ يقول: إنا تركناكم اليوم في النار.

وقوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ يقول: يقال لهم أيضاً: ذوقوا عذاباً تخلدون فيه إلى غير نهاية ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ في الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾ من معاصي الله. **وأورد بإسناد حسن عن قتادة:** ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ قال: نسوا من كل خير، وأما الشر فلم ينسوا منه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: يقال لأهل النار على سبيل التقرير والتوبيخ: ذوقوا العذاب بسبب تكذيبكم به، واستبعادكم وقوعه، وتناسيكم له؛ إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له، ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ أي: سنعاملكم معاملة الناسي؛ لأنه تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضل عنه شيء، بل من باب المقابلة، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُنَسِّنُكُمْ مَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الجملة: ٣٤].

وقوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بسبب كفركم وتكذيبكم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [الاحقاف: ٢٤] ﴿وَعَسَآفًا﴾ [٢٥] ﴿جَزَاءً وَفَآفًا﴾ [٢٦] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [٢٧] ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّآبًا﴾ [٢٨] ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٢٤-٣٠].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ .

ج: المعنى - والله أعلم - إنما يُصدِّقُ آياتنا تمام التصديق الذين إذا ذُكِّروا بهذه الآيات خروا سجداً لربهم ﷻ مسبِّحين بحمده قد نزهوه عن كل ما لا يليق، ومزجوا ذلك بالحمد، يفعلون ذلك متواضعين لله متذللين له ﷻ.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها ووعظوا ﴿ خَرُّوا ﴾ لله ﴿ سُجَّدًا ﴾ لوجوههم، تذللوا له، واستكانة لعظمته، وإقراراً له بالعبودية ﴿ وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ يقول: وسبحوا الله في سجودهم بحمده، فيبرئونه مما يصفه أهل الكفر به، ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ يقول: يفعلون ذلك، وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح، لا يستكفون عن التذلل له والاستكانة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾ أي: إنما يصدق بها ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ﴾ أي: استمعوا لها وأطاعوها قولاً وفعلاً ﴿ وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن اتباعها والانقياد لها، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ .

[غافر: ٦٠]

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: خلطوا التسييح بالحمد أي: نزهوه وحمدوه فقالوا في سجودهم: سبحان الله وبحمده سبحان ربي الأعلى وبحمده أي: تنزيهاً لله تعالى عن قول المشركين وقال سفيان: وسبحوا بحمد ربهم أي: صلوا حمداً لربهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته قاله يحيى بن سلام النقاش: لا يستكبرون كما استكبر أهل مكة عن السجود.



س: هل في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ سجود

تلاوة؟

ج: ليُعلم أولاً أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ألم تنزّل السجدة، وهل أتى على الإنسان^(١).
ولكن هل كان النبي ﷺ يسجد عند قراءتها في فجر الجمعة أم لا؟ لم أقف على جزء ثابت في ذلك لكن قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى^(٢): قال ابن بطال: أجمعوا على السجود فيها، وإنما اختلفوا في السجود بها في الصلاة.
وقال أيضًا في كتاب الجمعة^(٣).

(فَائِدَتَانِ) الْأُولَى: لَمْ أَرِ فِي شَيْءٍ مِنْ الطُّرُقِ التَّصْرِيحَ بِأَنَّهُ ﷺ سَجَدَ لَمَّا قَرَأَ سُورَةَ تَنْزِيلِ السَّجْدَةِ فِي هَذَا الْمَحَلِّ إِلَّا فِي كِتَابِ الشَّرِيعَةِ لِابْنِ أَبِي دَاوُدَ مِنْ طَرِيقِ أُخْرَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «غَدَوْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ فَقَرَأَ سُورَةَ فِيهَا سَجْدَةٌ فَسَجَدَ» الْحَدِيثُ، وَفِي إِسْنَادِهِ

(١) البخاري (٨٩١).

(٢) فتح الباري (٦٤٢/٢).

(٣) فتح (٤٤٠/٢).

مَنْ يُنْظَرُ فِي حَالِهِ. وَلِلطَّبْرَانِيِّ فِي الصَّغِيرِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ فِي تَنْزِيلِ السَّجْدَةِ» لَكِنْ فِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ (١).

الثَّانِيَّةُ: قِيلَ الْحِكْمَةُ فِي اخْتِصَاصِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بِقِرَاءَةِ سُورَةِ السَّجْدَةِ قَصْدُ السُّجُودِ الزَّائِدِ حَتَّى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ هَذِهِ السُّورَةَ بِعَيْنِهَا أَنْ يَقْرَأَ سُورَةَ غَيْرِهَا فِيهَا سَجْدَةٌ، وَقَدْ عَابَ ذَلِكَ عَلَى فَاعِلِهِ غَيْرٌ وَاحِدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَنَسَبَهُمْ صَاحِبُ الْهَدْيِ إِلَى قَلَّةِ الْعِلْمِ وَنَقْصِ الْمَعْرِفَةِ، لَكِنْ عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ بِإِسْنَادٍ قَوِيٍّ عَنِ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ فِي الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِسُورَةٍ فِيهَا سَجْدَةٌ. وَعِنْدَهُ مِنْ طَرِيقِهِ أَيْضًا أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَرَأَ سُورَةَ مَرْيَمَ. وَمِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَوْنٍ قَالَ: كَانُوا يَقْرَأُونَ فِي الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِسُورَةٍ فِيهَا سَجْدَةٌ. وَعِنْدَهُ مِنْ طَرِيقِهِ أَيْضًا قَالَ: وَسَأَلْتُ مُحَمَّدًا - يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ - عَنْهُ فَقَالَ لَا أَعْلَمُ بِهِ بِأَسَا. اهـ.

فَهَذَا قَدْ ثَبَّتَ عَنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ فَلَا يَنْبَغِي الْقَطْعُ بِتَرْيِيفِهِ. وَقَدْ ذَكَرَ النَّوَوِيُّ فِي زِيَادَاتِ الرَّوَضَةِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ وَقَالَ: لَمْ أَرْ فِيهَا كَلَامًا لِأَصْحَابِنَا، ثُمَّ قَالَ: وَقِيَاسُ مَذْهَبِنَا أَنَّهُ يُكْرَهُ فِي الصَّلَاةِ إِذَا قَصَدَهُ اهـ. وَقَدْ أَفْتَى ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ قَبْلَهُ بِالْمَنْعِ وَبِبُطْلَانِ الصَّلَاةِ بِقَطْعِ ذَلِكَ، قَالَ صَاحِبُ الْمُهَمَّاتِ: مُقْتَضَى كَلَامِ الْقَاضِي حُسَيْنِ الْجَوَازِ. وَقَالَ الْفَارِقِيُّ فِي فَوَائِدِ الْمُهَذَّبِ: لَا تُسْتَحَبُّ قِرَاءَةُ سَجْدَةٍ غَيْرِ تَنْزِيلِ، فَإِنْ ضَاقَ الْوَقْتُ عَنْ قِرَاءَتِهَا قَرَأَ

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ١٧٠)، وفي سننه ضعف ولفظه عن علي ﷺ أن النبي ﷺ سجد في صلاة الصبح بتنزيل السجدة.

= وهناك حديث عن ابن عمر أن النبي ﷺ سجد في صلاة الظهر ثم قام فركع فرأينا أنه قرأ تنزيل السجدة. أخرجه أبو داود (٨٠٧)، وأحمد (٨٣/٢)، وغيرهما وفي سننه انقطاع أو جهالة راو يُقال له أمية.

بِمَا أَمْكَنَ مِنْهَا وَلَوْ بِآيَةِ السَّجْدَةِ مِنْهَا، وَوَافَقَهُ ابْنُ أَبِي عَصْرُونَ فِي كِتَابِ
الْإِنْصَارِ وَفِيهِ نَظْرٌ.



MOSTAFAALADWY.COM

مباحث في السجود

فضل السجود

س: اذكر بعض الوارد في فضل السجود.

ج: من ذلك ما يلي:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قرأ ابنُ آدمَ السَّجْدَةَ فسَجَدَ؛ اغْتَرَزَ الشَّيْطَانُ بِبُكْيَيْ يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلَئِي النَّارُ»^(١).

وعنه أيضًا: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟... وفيه: «حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ»^(٢).

حديث ثوبان وأبي الدرداء رضي الله عنهما: عَنِ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: لَقِيتُ ثُوبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ. أَوْ قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ. فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ». قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثُوبَانُ^(٣).

(١) مسلم (٨١).

(٢) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٣) مسلم (٤٨٨).

عَنْ رَيْبَعَةَ بِنِ كَعْبِ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ». فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مَرَّافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(١).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(٢).



حكم سجود التلاوة

س: هل سجود التلاوة مستحب أو واجب؟

ج: سجود التلاوة مستحب عند جمهور العلماء.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

أولاً: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سجد عند قراءة السجدة من سورة النجم فسجد، وقرأ الآية في موطن آخر فلم يسجد.

أما كونه سجد فيها ففي الصحيحين^(٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ سورة النجم فسجد بها فما بقي أحدٌ من القوم إلا سجد فأخذ رجل من القوم كفاً من حصي أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال: يكفيني هذا قال ابن مسعود: «فلقد رأيته بعد قُتل كافرًا».

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٧٠)، ومسلم (٥٧٦).

وأخرج البخاري^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

أما كونه لم يسجد فيها ففي الصحيحين^(٢) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم (والنجم) فلم يسجد فيها.

أما الدليل الثاني على عدم وجوب سجود التلاوة فما أخرجه البخاري^(٣) من طريق ربيعة بن عبد الله بن الهدير التيمي - قال أبو بكر (ابن أبي مليكة) وكان ربيعة من خيار الناس - عما حضر ربيعة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، قال: يا أيها الناس، إنا نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه. ولم يسجد عمر رضي الله عنه، وزاد نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: إن الله لم يفرض علينا السجود إلا أن نشاء.

أما الدليل الثالث على عدم وجوب سجدة التلاوة فهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي لما سأله عن الصلوات المفروضة فقال: «خمس صلوات في اليوم والليلة» قال: هل علي غيرهن، قال: «لا إلا أن تطوع»^(٤)

هذا، وبالاستحباب قال جمهور العلماء كما نقله عنهم النووي في التبيان في آداب حملة القرآن هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى الوجوب

(١) البخاري (١٠٧١).

(٢) البخاري (١٠٧٣)، ومسلم (٥٧٧).

(٣) البخاري (١٠٧٧).

(٤) البخاري (١٠٧٣)، ومسلم (٥٧٧).

كالأحناف حيث نقله عنهم الطحاوي في شرح معاني الآثار^(١).
 واستدلوا بالعمومات كقوله تعالى: ﴿ فَاسْجُدْ وَاعْبُدْ اللَّهَ ﴾ [النجم: ٦٢]،
 وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ [الانشقاق: ٢١].

وبحديث أبي هريرة الوارد في فضل السجود، وقد تقدم عند مسلم وفيه
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ؛ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ:
 يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي
 النَّارُ».

وأجيب على الآيات بأن المراد بقوله: ﴿ فَاسْجُدْ وَاعْبُدْ اللَّهَ ﴾ يتحقق
 بسجود الصلاة المفروضة وكذا سائر الأوامر والله أعلم.



السجود والطهارة

س: هل تشترط الطهارة لسجود التلاوة؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى اشتراط الطهارة لسجود التلاوة قياساً
 على الصلاة، بل وادعى بعضهم أن الإجماع منعقد على ذلك.
 قال ابن عبد البر^(٢): إجماع من الفقهاء أنه لا يسجد أحد سجدة التلاوة إلا
 على طهارة.

ونفى ابن قدامة والقرطبي الخلاف في أن سجود القرآن يحتاج إلى ما
 تحتاج إليه الصلاة من طهارة حدث ونجس ونية واستقبال قبلة ووقت.
 هذا، والإجماع المنقول فيه نظر، فقد ذهب ابن حزم وابن تيمية

(١) (١/٣٥٥).

(٢) الاستذكار (٨/١١٠).

والصنعاني والشوكاني وآخرون إلى أنه لا يلزم الوضوء لسجود التلاوة، واستدلوا بأدلة منها أن النبي ﷺ لما قرأ سورة النجم وبلغ قوله تعالى: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا﴾، سجد وسجد جميع من كانوا معه من المسلمين والمشركين والجن... الحديث، وقد تقدم.

قالوا: ويعد أن يكون الجميع على وضوء وأجيب على هذا بأن الوضوء لم يكن فرض آنذاك.

واستدلوا أيضاً بحديث صلاة الليل مثنى مثنى، والسجدة ليست كذلك فليست بداخلة في أحكام الصلاة، وثم استدلال آخر.

قال ابن حزم رحمه الله^(١):

وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَالسُّجُودُ فِيهِ وَمَسُّ الْمُصْحَفِ وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى جَائِزٌ، كُلُّ ذَلِكَ بِوُضُوءٍ وَبِعَيْرِ وَضُوءٍ وَلِلْجَنِّبِ وَالْحَائِضِ.
بُرْهَانُ ذَلِكَ أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَالسُّجُودَ فِيهِ وَمَسَّ الْمُصْحَفِ وَذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْعَالٌ خَيْرٌ مَسْذُوبٌ إِلَيْهَا مَا جُورَ فَاعِلُهَا، فَمَنْ ادَّعَى الْمَنْعَ فِيهَا فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ كُفِّفَ أَنْ يَأْتِيَ بِالْبُرْهَانِ.
وَأَمَّا سُجُودُ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ لَيْسَ صَلَاةً أَصْلًا.

قال ابن تيمية رحمه الله:

وعلى هذا «أي: سجدة التلاوة» فليست صلاة فلا تشترط لها شروط الصلاة بل تجوز على غير طهارة، كما كان ابن عمر يسجد على غير طهارة لَكِنَّ هِيَ بِشُرُوطِ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخِلَّ بِذَلِكَ إِلَّا لِعُذْرٍ.
فَالسُّجُودُ بِلَا طَهَارَةٍ خَيْرٌ مِنَ الْإِخْلَالِ بِهِ وَعَلَى هَذَا تَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ فَقَالَ:

(١) المحلي (١/٧٩).

(بَابُ سَجْدَةِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكُ نَجِسٌ لَيْسَ لَهُ وُضُوءٌ...).

وذكر أثر ابن عمر وحديث ابن مسعود.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ جِنْسَ الْعِبَادَةِ لَا تُشْتَرَطُ لَهُ الطَّهَارَةُ بَلْ إِنَّمَا تُشْتَرَطُ لِلصَّلَاةِ .
فَكَذَلِكَ جِنْسُ السُّجُودِ يُشْتَرَطُ لِعِضْوِهِ وَهُوَ السُّجُودُ الَّذِي لِلَّهِ كَسُّجُودِ الصَّلَاةِ
وَسَجْدَتَيْ السَّهْوِ بِخِلَافِ سُّجُودِ التَّلَاوَةِ وَسُّجُودِ الشُّكْرِ وَسُّجُودِ الْآيَاتِ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَن سُّجُودِ السَّحَرَةِ لَمَّا آمَنُوا بِمُوسَى
عَلَى وَجْهِ الرِّضَا بِذَلِكَ السُّجُودِ وَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُتَوَضِّئِينَ وَلَا
يَعْرِفُونَ الْوُضُوءَ . فَعَلِمَ أَنَّ السُّجُودَ الْمُجَرَّدَ لِلَّهِ مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ صَاحِبُهُ مُتَوَضِّئًا وَشَرَعٌ مِّن قَبْلِنَا شَرَعٌ لَنَا مَا لَمْ يَرِدْ شَرَعْنَا بِخِلَافِهِ .

وَهَذَا سُّجُودُ إِيمَانٍ وَنَظِيرُهُ «الَّذِينَ اسْلَمُوا فَاَعْتَصَمُوا بِالسُّجُودِ...» وَمِمَّا
يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَيَقُولُوا:
حِطَّةً . وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِوُضُوءٍ وَلَا كَانَ الْوُضُوءُ مَشْرُوعًا لَهُمْ .
بَلْ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ وَسَوَاءٌ أُرِيدَ السُّجُودُ بِالْأَرْضِ أَوْ
الرُّكُوعُ

وَأَيْضًا: فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ بِالسُّجُودِ الْمُجَرَّدِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ [مريم: ٥٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّهِمْ﴾ وَكَمْ
يَكُونُوا مَأْمُورِينَ بِالْوُضُوءِ . اهـ.

وقال الصنعاني^(١):

واختلفوا أيضًا هل يشترط فيها ما يشترط في الصلاة من الطهارة وغيرها
فاشترط ذلك جماعة وقال قوم لا يشترط... **ثم قال:** والأصل أنه لا يشترط

(١) سبل السلام (١/٣٥٤).

الطهارة إلا بدليل وأدلة وجوب الطهارة وردت للصلاة والسجدة لا تسمى صلاة فالدليل على من شرط ذلك.

وقال الشوكاني^(١):

ليس في أحاديث سجود التلاوة ما يدل على اعتبار أن يكون الساجد متوضئاً وقد كان يسجد معه ﷺ من حضر تلاوته ولم ينقل أنه أمر أحداً منهم بالوضوء ويبعد أن يكونوا جميعاً متوضئين، وأيضاً قد كان يسجد معه المشركون كما تقدم وهم أنجاس لا يصح وضوؤهم.

قلت: فالحاصل أن أكثر العلماء على إيجاب الوضوء لسجود التلاوة قياساً على الصلاة والقائلون بعدم اعتبار القياس، أو القائلون بأن القياس هنا لا يتم قالوا بجواز السجود بلا وضوء.

وليس في المسألة دليل واضح يدل على إيجاب الوضوء لسجود التلاوة، والله أعلم.



س: هل للحائض أن تسجد للتلاوة؟

ج: ذهب الجمهور من أهل العلم إلى أن الحائض لا تسجد سجدة التلاوة قياساً منهم للسجود على الصلاة، واشترطهم للسجود ما يشترط للصلاة على ما قد تقدم.

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى جواز ذلك لها وقد بينا بعض أدلتهم فيما سبق كسجود من سجد مع رسول الله ﷺ لما قرأ آية النجم ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ ويبعد أن يكون الجميع على وضوء، وكذا فقد ورد عن الزهري

(١) نيل الأوطار (٥/٣٤٧).

وقتادة القول بأنها: تسجد^(١).



MOSTAFAALADWY.COM

(١) انظر مصنف عبد الرزاق (١/٣٢١).

المستمع وسجود التلاوة

س: هل يشرع للمستمع أن يسجد للتلاوة؟

ج: نعم يشرع له أن يسجد للتلاوة لأثر ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدنا موضع جبهته^(١).



التكبير لسجود التلاوة

س: هل يُكبر الشخص عند الهوي لسجود التلاوة؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى مشروعية التكبير لسجود التلاوة مستدلين بحديث ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ علينا القرآن، فإذا مرَّ بالسجدة كبر وسجد وسجدنا إلا أن هذا الحديث ضعيف الإسناد^(٢).
واستدلوا أيضًا بالقياس على الصلاة المعتادة فالشخص فيها يكبر عند كل خفضٍ ورفعٍ والله أعلم.



س: هل يشرع للشخص أن يقرأ سورة فيها سجدة تلاوة في الصلاة السرية؟

ج: إذا كان المصلي يصلي صلاة سرية منفردًا فلا بأس.
أما إذا كان إمامًا فيرى جمهور العلماء أن ذلك يكره له لما يُحدثه هذا الصنيع من التباس عند المصلين.

(١) البخاري (١٠٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤١٣)، وفي إسناده عبد الله بن عمر العمري (مكبر الاسم مصغر في الرواية).

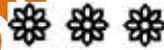
بينما ذهب بعض أهل العلم^(١) إلى جواز ذلك بلا كراهة؛ منهم الإمام الشافعي رحمته الله، ومن أدلتهم حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في صلاة الظهر، ثم قام فركع، فرأينا أنه قرأ تنزيل السجدة إلا أن الحديث ضعيف^(٢).



العاجز عن سجدة التلاوة

س: ماذا يفعل من قرأ آية السجدة أو استمعها ولم يستطع السجود لكونه كان ماشياً أو راكباً ولم يستطع السجود؟
ج: الذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أنه يومئ برأسه، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي النافلة على الراحلة في السفر أينما توجهت يومئ^(٣).
 فالسجود من باب أولى.

ثم إن الله تعالى قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].



س: إذا قرأ الشخص آيةً فيها سجدة وهو جالس هل يقوم كي يسجد للتلاوة من قيام أم أنه يسجد من جلوسه؟

ج: الظاهر - والله أعلم - أنه يسجد من جلوسه، إذ لا يوجد دليل مُلزم بأن يسجد من قيام، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سجد عند قراءة آية النجم ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا﴾ وسجد مَنْ كانوا معه لم يرد أنهم قاموا للسجود، وكذا

(١) انظر فتح الباري (٢/٦٥١)، وابن قدامة في المغني (٢/٣٧١).

(٢) أخرجه أبو داود (٨٠٧)، وفي سنده ضعف أشرت إليه قريباً.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٩٦)، ومسلم (٧٠٠).

عمر لما نزل من على المنبر فسجد بالناس (الذي يستمعون الخطبة) لم يرد أنهم قاموا وسجدوا فالأظهر والله أعلم أن الأمر في ذلك واسع والأقرب أن يسجد من جلوسٍ ولا يلزم بقيامٍ والله أعلم.

هل لسجود التلاوة ذكر مخصوص؟

س: هل هناك ذكرٌ معين يُقال في سجود التلاوة؟

ج: لا أعلم خبراً صحيحاً عن رسول الله ﷺ في ذلك؛ وإنما هي سجدةٌ كسائر السجودات يُقال فيها ما يُقال في سائر السجودات. هذا، وقد وردت في هذا الصدد أحاديث في أسانيدنا ضعف، منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ يَقُولُ فِي السَّجْدَةِ مِرَارًا: «سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ»^(١). وفي رواية ابن خزيمة: يقول ذلك ثلاث مرات. وفي رواية الحاكم: «فتبارك الله أحسن الخالقين».

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي فَسَمِعَتْهَا وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ. قَالَ الْحَسَنُ: قَالَ لِي ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ لِي جَدُّكَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً ثُمَّ سَجَدَ. قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا

(١) أحمد (٣١/٦)، وأبو داود (١٤١٤)، وابن خزيمة (٥٦٥)، والبيهقي (٣٢٥/٢)، وهو معلول، وانظر العليل للدارقطني (٣٩٥/١٤).

أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ (١).

وهناك قولٌ لبعض أهل العلم أنه يتلو قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨].

هل يُسلم من سجود التلاوة؟

س: هل هناك تسليم إذا قام الشخص من سجود التلاوة؟

ج: لا أحفظ عن رسول الله ﷺ دليلاً على التسليم من سجود التلاوة، ومن ثم فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه ليس في سجود التلاوة تسليم؛ إذ لم يرد أن النبي ﷺ سلم من سجود التلاوة، ونُقِلَ هذا عن أبي حنيفة ومالك وقول عن الشافعي وأحمد (٢).

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يشرع التسليم عقب سجود التلاوة قياساً على الصلاة فالنبي ﷺ قال: «... وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم»، وهو الصحيح عن الشافعي (٣) وأحمد وإسحاق وغيرهم.



السجود في أوقات الكراهة

س: هل يسجد الشخص للتلاوة في أوقات الكراهة؟

ج: لا أعلم نصاً محفوظاً في ذلك عن النبي ﷺ بخصوص سجود التلاوة لا منعاً ولا إباحة إلا أن كثيراً من العلماء قاسوا ذلك على الصلاة فالذين منعوا

(١) أخرجه الترمذي (٥٧٩)، وابن خزيمة وغيره (٥٦٣)، وفي سننه حسن بن محمد وهو مجهول العين.

(٢) انظر التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، وكذا التمهيد لابن عبد البر (١٣٤/١٩).

(٣) انظر التبيان للنووي والإنصاف للمرداوي (١٩٨/٢).

من الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس وبعد الصبح حتى تطلع الشمس وعندما يقوم قائم الظهيرة منعوا كذلك من السجود، والذين أباحوا الصلاة (خاصة ذوات الأسباب) أباح كثير منهم سجود التلاوة في أوقات الكراهة، أما النواهي عن الصلاة في الأوقات المذكورة فمنها حديث عمر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس^(١).

ولهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ^(٢).

ومنها حديث عمرو بن عبسة أنه سأل النبي ﷺ قال: أخبرني عن الصلاة؟ قال: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ؛ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلَّى فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرَّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ»^(٣).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: «ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَارِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، وَحِينَ تَصَيِّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ»^(٤).

(١) البخاري (٥٨١)، ومسلم (٨٢٦).

(٢) انظر البخاري (٥٨٦)، ومسلم (٨٢٧).

(٣) مسلم (٨٣٢).

(٤) مسلم (٨٣١).

أما الذين جَوَّزُوا الصلاة بعد العصر (ذوات الأسباب) فمن أدلتهم: حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَنْهَى عَنْهَا «أَي: الرُّكْعَتَيْنِ بعد العصر» ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ... قَالَ: يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُمَا هَاتَانِ^(١).

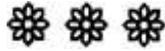
س: إذا لم يستطع الإمام أن يقرأ سورة السجدة كاملة يوم الجمعة (في فجر الجمعة) فهل يجوز له أن يقرأ بعض الآيات فيها آية السجدة كي يسجد أم أنه لا يفعل ذلك؟

ج: الظاهر لي من أقوال أهل العلم أن هذا يجوز؛ وذلك لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [النبا: ١٦]، وقال: ﴿فَأَقْرءُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، وبهذا قال عدد من العلماء^(٢)، وإن كان منهم من كره ذلك، لكن ما قدمته من الأدلة يشهد لقول القائلين بالجواز، والله أعلم.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الترمذي^(٣) بسندٍ صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تُدعى العتمة.



س: لماذا تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟

(١) البخاري (١٢٣٣)، ومسلم (٨٣٤).

(٢) قال بذلك أبو حنيفة والشافعي وغيرهم، وانظر التبيان وانظر الإشراف لابن المنذر كذلك.

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٩٦)، وقال: هذا حديث صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ج: ذكر العلماء أسبابًا لذلك:

أحدها: أنها تتجافى عن المضاجع كي يقوموا ويذكروا الله.

الثاني: أنها تتجافى عن المضاجع كي يقوموا للصلاة.

ثم اختلف هل ذلك لصلاة الفريضة أم لصلاة النافلة، فقال بعض العلماء: إن ذلك انتظارٌ لصلاة العشاء.

وقال آخرون: إن ذلك لقيام الليل أي: لصلاة النافلة من الليل.

والأظهر أن ذلك لقيام الليل:

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

واختلف أهل التأويل في الصلاة التي وصفهم جلّ ثناؤه أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع، فقال بعضهم: هي الصلاة بين المغرب والعشاء، وقال: نزلت هذه الآية في قوم كانوا يصلون في ذلك الوقت.

وأورد بإسناد صحيح عن أنس: في قوله: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾

قال: يصلون ما بين هاتين الصلاتين.

وإسناد صحيح عن قتادة قال أنس في قوله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾

[الذاريات: ١٧] قال: كانوا يتنفلون فيما بين المغرب والعشاء، وكذلك تتجافى جنوبهم.

قال الطبري: وقال آخرون: عني بها صلاة المغرب.

وقال آخرون: لانتظار صلاة العتمة.

وقال آخرون: عني بها قيام الليل.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن الحسن قال: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ

الْمَضَاجِعِ﴾ قال: قيام الليل.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل.

وقال آخرون: إنما هذه صفة قوم، لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله.

واختار الطبري رحمته الله: أن المراد بذلك هو قيام الليل، وهذا القول هو القول الذي اختاره، وذلك لورود الحديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا وهو حديث معاذ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له (لمعاذ): «... ألا أدلك على أبواب الخير: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُكْفِرُ الْخَطِيئَةَ، وَقِيَامُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ» وتلا هذه الآية: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

وهو حديث صحيح ^(١) بمجموع طرقه، وقد أورد الطبري له طرقًا، وقد خرجته في عدة مواطن.

قال الطبري رحمته الله:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم، شغلاً منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفاً وطمعاً، وذلك نبو جنوبهم عن المضاجع ليلًا؛ لأن المعروف من وصف الواصف رجلاً بأن جنبه نبا عن مضجعه، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف، وذلك الليل دون النهار، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك، يدل على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه في صفة نبي الله صلى الله عليه وسلم:

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

(١) هو عند الطبري (٢٨٢٣٧) فما بعدها، وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (١١٢)، وأحمد (٢٣٠/٥) وقد خرجته هنالك.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره لم يخصص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالاً ووقتاً دون حال ووقت، كان واجباً أن يكون ذلك على كل آناء الليل وأوقاته. وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء، أو انتظر العشاء الآخرة، أو قام الليل أو بعضه، أو ذكر الله في ساعات الليل، أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ لأن جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائماً صلى أو ذكر الله، أو قاعدًا بعد أن لا يكون مضطجعاً، وهو على القيام أو القعود قادر، غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن توجيه الكلام إلى أنه معني به قيام الليل أعجب إليّ؛ لأن ذلك أظهر معانيه، والأغلب على ظاهر الكلام، وبه جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (١٦).

ج: هذا - والله أعلم - ثناء على أهل الإيمان وكذا ترغيب لهم في قيام الليل، قال تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي: تتعد جنوبهم عن مواضع نومهم وتتنحى عنها فيقومون من فراشهم للصلاة والذكر والدعاء فيدعون ربهم **عَبَّادًا** خوفًا من عذابه وعقابه، وطمعًا في رحمته وثوابه، وفضلاً عن ذلك فإن نفعهم متعدٌ وخيرهم واصل للعباد فإنهم ينفقون مما رزقهم الله وأعطاهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: تتنحى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله، الذين

وصفت صفتهم، وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لنامهم، ولا ينامون ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ في عفوه عنهم، وتفضُّله عليهم برحمته ومغفرته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الله، ويؤدُّون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه. وتتجافى: تتفاعل من الجفاء.

وأورد الطبري رحمته أثرًا بإسناد حسن عن قتادة ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ قال: خوفًا من عذاب الله، وطمعًا في رحمة الله، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وفي سبيله.

وقال ابن كثير رحمته:

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: خوفًا من وبال عقابه، وطمعًا في جزيل ثوابه، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : فلا تعلم نفس ما أخفى الله عليك لهؤلاء الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ويدعون ربهم خوفًا وطمعًا من النعيم الذي تستقر به الأعين ولا تنظر إلى شيء سواه، جزاءً لهم على صالح أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

قال الطبري رحمته:

يقول تعالى ذكره: فلا تعلم نفس ذي نفس ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جلّ ثناءه صفتهم في هاتين الآيتين، مما تقرّ به أعينهم في جنانه يوم

القيامة ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: ثواباً لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لَمَّا أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاءً وفاقاً؛ فإن الجزاء من جنس العمل.
قال الحسن: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر. رواه ابن أبي حاتم.



س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم^(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». قال أبو هريرة: فاقروا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

هكذا روى قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ...﴾ ثم كلام أبي هريرة موقوفاً عليه، وقد وردت طرق تقوي احتمالية الرفع إلى رسول الله ﷺ.

(١) البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤).

وأخرج مسلم^(١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى. ثم قال صلى الله عليه وسلم في آخر حديثه: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ثم افتراً هذه الآية: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) ﴿

وأخرج مسلم^(٢) في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سأل موسى عليه السلام ربه صلى الله عليه وسلم: ما أذن أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يحيى بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقول: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك، ولدت عينك. فيقول: رضيت رب. قال: رب، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أزدت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصدقه في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ﴿

وقد أعل هذا الحديث بالوقف.



لا يستوي المؤمن مع الفاسق

(١) مسلم (٢٨٢٥).

(٢) مسلم (حديث ١٨٩) والظاهر أن الوقف في هذا الحديث على المغيرة بن شعبة هو الأصح، وراجع

إن شئت العلل.

س: اذكر بعض الآيات الدالة على أن المسلم لا يستوي مع الفاسق؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ

الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴾ [فاطر:

١٩-٢٠].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُتَّبِعِينَ كَالْمُبْدِعِينَ ﴾ [القلم: ٣٥].

إلى غير ذلك من الآيات.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ .

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - لا يستوي المصدق بوعد الله المطيع

لأمره المصدق للقرآن مع الخارج عن الطاعة، والمتجه إلى التكذيب أي: لا يستوي المؤمن مع الكافر.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: أفهذا الكافر المكذب بوعد الله ووعيده، المخالف أمر

الله ونهيه، كهذا المؤمن بالله، والمصدق بوعد الله ووعيده، المطيع له في أمره

ونهيته، كلا لا يستوون عند الله يقول: لا يعتدل الكفار بالله، والمؤمنون به عنده،

فيما هو فاعل بهم يوم القيامة. وقال: ﴿ لَا يَسْتَوُونَ ﴾ فجمع، وإنما ذكر قبل ذلك

اثنين: مؤمناً وفاسقاً؛ لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمناً واحداً، وبالفاسق: فاسقاً

واحداً، وإنما أريد به جميع الفساق، وجميع المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان

غير مصمود لهما ذهبت بهما العرب مذهب الجمع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى عن عدله أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة مَنْ كان مُؤمناً بآياته متبعاً لرسله، بمن كان فاسقاً، أي: خارجاً عن طاعة ربه مكذباً لرسله إليه.



س: هل صحيح لهذه الآية الكريمة ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ﴾ سبب

نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

ج: بعد أن ذكر الله ﷻ أن المؤمن لا يستوي مع الكافر بين حال هؤلاء وأولئك، فقال تعالى: ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ صدقوا المرسلين وأيقنوا بالله ورضوا به رباً وبالإسلام ديناً، فلهم الجنات التي يأوون إليها ويستقرون فيها ﴿ نُزُلًا ﴾ ضيافة وإكراماً من الله ﷻ لهم على طاعتهم وصالح عملهم وأما الذين كفروا وخرجوا عن طاعة ربهم ﷻ وامتنعوا من الإقرار له بالوحدانية فمأواهم الذي يأوون إليه هو النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون، وكنتم له تنكرون.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ ۖ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذَكَرَهُ: أَمَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ: يعني بساتين المساكن التي يسكنونها في الآخرة ويأوون إليها. وقوله: ﴿نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: نزلاً بما أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته. وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ يقول تعالى ذكره: وأما الذين كفروا بالله، وفارقوا طاعته ﴿فَمَا وَبَّاهُمُ النَّارُ﴾ يقول: فمساكنهم التي يأوون إليها في الآخرة النار ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ دُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ أن الله أعدّها لأهل الشرك به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها، وهي الصالحات ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾ أي: التي فيها المساكن والدُّور والغرف العالية ﴿نُزُلًا﴾ أي: ضيافة وكرامة ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ أي: خرجوا عن الطاعة، ﴿فَمَا وَبَّاهُمُ النَّارُ﴾ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ كقوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الآية [المع: ٢٢]. قال الفُضَيْل بن عياض: والله إن الأيدي لموثقة، وإن الأرجل لمقيدة، وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ دُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ أي: يقال لهم ذلك تفریحاً وتوبيخاً.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾ أخبر عن مقر الفريقين غداً فللمؤمنين جنات المأوى أي: يأوون إلى الجنات فأضاف

الجنات إلى المأوى؛ لأن ذلك الموضع يتضمن جنات ﴿نُزُلًا﴾ أي: ضيافة والنزل: ما يُهيأ للنازل والضيف وقد مضى في آخر آل عمران وهو نصب على الحال من الجنات أي: لهم الجنات معدة ويجوز أن يكون مفعولاً له ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ أي: خرجوا عن الإيمان إلى الكفر ﴿فَمَا وَهُمْ نَارًا﴾ أي: مقامهم فيها ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ أي: إذا دفعهم لهب النار إلى أعلاها رُدُّوا إلى موضعهم فيها؛ لأنهم يطمعون في الخروج منها وقد مضى هذا في الحج ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ أي: يقول لهم خزنة جهنم أو يقول الله لهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ والذوق يستعمل محسوساً ومعنى وقد مضى في هذه السورة بيانه.



باب: فسق دون فسق

س: ذكر العلماء أن هناك فسقاً دون فسق وضح ذلك ودل عليه.

ج: إيضاحه أن الفسق منه ما هو بمعنى الكفر ومنه ما هو بمعنى المعصية أو الكبيرة، فليس كل فسق يُعدُّ كفراً، وذلك كقول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» فالفسوق هنا ليس بالكفر.

وكذا: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤] فالفسق هنا ليس بكفر.

أما الفسق في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَهُمْ نَارًا كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ فالفسق هنا بمعنى الكفر، وذلك للخلود الذي يخلدون في النار، وهذا محمول على الكفر بلا شك، وكذا قوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤] فالفسق هنا هو

المكفر، والله أعلم.



س: هذه الآية الكريمة إحدى الأدلة على عدم فناء النار، وضح ذلك.

ج: إيضاحه من قوله تعالى في شأن أهل الفسق والإجرام: ﴿فَمَا وَدَّعْتَهُمُ النَّارَ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ ففيه دليل على أن القوم لن يُخرجوا من النار وهناك أدلة أخر كقوله تعالى: ﴿كَمَا فَضَحَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [الاسراء: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، وقوله ﷺ: «يُنَادِي مُنَادٍ... يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ». والله أعلم.



MOSTAFAALAM.COM

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ نَ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنعْمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

[السجدة: ٢١-٣٠]

س: وضع معنى ما يلي:

﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَى - مَرِيئِينَ لِقَائِهِ - أَيْمَةً - يُوقِنُونَ - يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ - يَهْدِيَهُمْ - الْأَرْضِ
الْجُرْزِ - الْفَتْحُ - يُنظَرُونَ﴾؟

ج:

معناها	الكلمة
العذاب الأقرب الذي هو في الدنيا (وقيل: المراد المصائب في الأموال والأنفس والثمرات)	(الْعَذَابِ الْأَدْنَى) ﴿
شك من التقاءك به	(مَرِيئِينَ لِقَائِهِ) ﴿
دعاة للخير وقادة في ذلك ورؤساء في الحق	(أَيْمَةً) ﴿
يصدقون تمام التصديق	(يُوقِنُونَ) ﴿
يقضي بينهم - يحكم بينهم - يجعل هؤلاء على حدة، وأولئك على حدة	(يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ) ﴿
نبين لهم	(يَهْدِيَهُمْ) ﴿
الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها وقد علاه التراب	(الْأَرْضِ الْجُرْزِ) ﴿
القضاء	(الْفَتْحُ) ﴿
يؤخرون - يمهلون	(يُنظَرُونَ) ﴿



س: ما المراد بالعذاب الأدنى وما المراد بالعذاب الأكبر؟

ج: أقوى الأقوال في ذلك، والله أعلم، المصائب التي تحلُّ بالعباد في الدنيا

سواء كانت في الأنفس أو في الأموال أو في الثمرات.

وإن كانت هناك أقوالٌ آخر في ذلك كقول من قال إن المراد بها الحدود.

وكقول من قال: إنها ما حلَّ بالمشركين يوم بدر من القتل.

وكقول من قال: إنها المجاعات التي أصابتهم.

وكلُّ هذه الأقوال داخلة في القول الأول إلا أنه ينبغي التفطن إلى أمر، وهو أنهم ابتلوا بذلك قبل موتهم وقبل قتلهم، وإلا لما كان لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ كبير معنى، فهو إن قال قائل: إن ذلك ما حلَّ بهم من القتل يوم بدر فمراده -والله أعلم- ما حلَّ ببعضهم ليكون عبرة لهم وتذكرة لهم، والله أعلم. هذا، وهناك قولٌ آخر في هذا الباب أراه ضعيفاً، وهو قول من قال: إن المراد بذلك عذاب القبر، وهذا قول بعيد يتنافى مع قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجعون إلى الله ويتوبون، وذلك أن التوبة لا تتأتى لأحدٍ بعد موته، والله أعلم.

* أما عن العذاب الأكبر، فالمراد به عذاب يوم القيامة - أعاذنا الله والمسلمين منه.

هذا وقد قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذِّبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخص الله تعالى ذكره، إذ وعدهم ذلك أن يعدَّهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عدَّهم بكل

ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم.

وقوله: ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ يقول: قيل العذاب الأكبر، وذلك عذاب يوم القيامة.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: كي يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى.

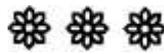
هذا، وقد أخرج مسلم^(١) في صحيحه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: في قوله عز وجل: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ قال: مصائب الدنيا والرؤم والبطشة أو الدخان.

وقد أخرج الطبري ولكن بلفظ مصيبات الدنيا واللزوم (بدلاً من الروم، وهو الأصح، والمراد الآية الكريمة: ﴿لَنُكَافِرُنَّكَ إِذَا مَا أُوْحِلَّ لِمُسْتَعْيٍ﴾ [طه: ١٢٩]).

قال الطبري:

والبطشة أو الدخان شك شعبة في البطشة أو الدخان.

وأورد الطبري من وجوه متعددة: ما مفاده أن العذاب الأكبر هو العذاب يوم القيامة والله أعلم.



الابتلاءات لإرجاع الناس إلى الله

س: كثيراً ما يُبتلى العباد لإرجاعهم إلى طريقة الله دَلٌّ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ

(١) مسلم (٢٧٩٩).

يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

يَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبَةٍ مِّنْ نَّبِيِّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ

يَضُرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

والأدلة على ذلك كثيرة. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ

الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [٢٢].

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : ليس هناك أحدٌ أظلم من شخص ذكّر

بآيات الله فأعرض عنها ونفر منها فإننا من أهل الإجمام وأهل الإعراض منتقمون.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: وأيّ الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه، وآي

كتابه، ورسله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها.

وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ يقول: إنا من الذين اكتسبوا الآثام،

واجترحوا السيئات منتقمون.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي: لا أظلم ممن ذكّره

الله بآياته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدتها وأعرض عنها وتناساها، كأنه لا يعرفها.

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: إياكم والإعراض عن ذكر الله، فإن مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ فقد اغتر أكبر الغرّة، وأعوز أشد العوز، وعظم من أعظم الذنوب.
ولهذا قال تعالى متهدداً لمن فعل ذلك: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ أي: سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي لا أحد أظلم لنفسه ﴿مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ أي بحججه وعلاماته ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ بترك القبول ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ لتكذيبهم وإعراضهم.



جمع بين آيات

س: ما الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ وبين قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ والآيات التي على هذا النحو والصدد؟

ج: لأهل العلم في ذلك اتجاهان:

أحدهما: أن يكون الجميع في الظلم سواء.

الثاني: أن يكون ذلك منزلاً على الاختصاص بمعنى: ليس من المعرضين أعظم ظلماً من المعرض عن آيات الله بعد أن ذُكِّرَ بها.
وليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذْكَرَ فيها اسمه، والله أعلم.



س: ما الكتاب الذي آتاه الله موسى ﷺ؟

ج: الكتاب هو التوراة.

س: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ لقاء من؟

ج: المعنى - والله أعلم - : فلا تكن يا رسول الله في شكٍّ من لقاءك بموسى ﷺ الذي كان ليلة المعراج.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة، كما آتيناك الفرقان يا محمد ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ يقول: فلا تكن في شكٍّ من لقاءه، فكان قتادة يقول: معنى ذلك: فلا تكن في شكٍّ من أنك لقيته، أو تلقاه ليلة أسري بك، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ.

وأورد بسند حسن عن قتادة^(١) عن أبي العالية الرياحي، قال: حدثنا ابن عمّ نبيكم - يعني: ابن عباس - قال: قال نبي الله ﷺ: «أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى بَنَ عِمْرَانَ رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، وَرَأَيْتُ عَيْسَى رَجُلًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبِياضِ، سَبَطَ الرَّأْسِ وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَالَ فِي آيَاتِ أَرَاهَنَ اللَّهِ إِيَّاهُ، ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ أَنَّهُ قَدْ رَأَى مُوسَى، وَلَقِيَ مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ.

إلا أن ابن كثير رحمه الله أورد هذا الأثر من طريق قتادة^(٢) أيضًا عن أبي العالية

(١) السند الأول من طريق يزيد عن سعيد عن قتادة، والثاني من طريق روح بن عبادة عن سعيد عن قتادة.

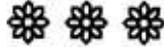
(٢) مسلم (٢٧٩٩).

عن ابن عباس، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ، قال: جعل موسى هدى لبني إسرائيل، وفي قوله: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ قال: من لقاء موسى ربه ﷻ .

فبين هذين الأثرين بعض الاختلاف والأظهر، والله أعلم أن قوله: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ أي: لقاءك يا رسول الله بموسى ﷺ ويشهد له ما سيأتي من آثار عن قتادة رضي الله عنه.

وقد أورد القرطبي رضي الله عنه وجوهاً آخر في ذلك فقال -بعد أن أورد نحوًا مما ذكرنا-:

وقيل: فلا تكن في شك في لقاء موسى في القيامة، وستلقاه فيها. وقيل: فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول قاله مجاهد و الزجاج وعن الحسن أنه قال في معناه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ فأوذي وكذب فلا تكن في شك من أنه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والأذى فالهاء عائدة على محذوف والمعنى من لقاء ما لاقى. النحاس: وهذا قول غريب إلا أنه من رواية عمرو بن عبيد وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى: قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فلا تكن في مرية من لقاءه فجاء معترضاً بين ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وبين ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ .



س: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٣٣) جعلنا من؟

ج: قيل: جعلنا الكتاب الذي آتيناه موسى ﷺ، وهو التوراة هدى لبني إسرائيل يهتدون بها ويسترشدون قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا﴾ [الإسراء: ٢]، وهذا القول قال ابن كثير

قال: قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الكتاب الذي آتيناها موسى ﷺ.
والقول الثاني: أن قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ عائدٌ على موسى ﷺ، ويشهد له
 الخبر المتقدم عن رسول الله ﷺ من طريق قتادة عن أبي العالية عن ابن
 عباس. والله أعلم.

وهذا الأخير اختيار الطبري إذ قال:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا موسى
 هدى لبني إسرائيل، يعنى: رشاداً لهم يرشدون باتباعه، ويصييون الحق
 بالافتداء به، والالتزام بقوله.
وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: جعل الله
 موسى هدى لبني إسرائيل.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾
وَكَاثُرًا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿١٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وجعلنا من بني إسرائيل قادة في الخير يهدون
 الناس إلى الحق والخير بإذننا لهم بذلك، وذلك أنهم لما صبروا على طاعتنا
 وامتنعوا عن معصيتنا، وصبروا على أقدارنا وقضائنا، وكانوا من أهل اليقين
 والتصديق لآياتنا، كل ذلك كان سبباً في أن جعلناهم أئمة.

فالإمامة تُنال بالصبر واليقين كما قال عددٌ من العلماء، ويشهد له قول الله
 ﷻ عن الخليل إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ
 لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] فلما قام بأوامر الله وانتهى عن نواهيه قال الله له إنني
 جاعلك للناس إماماً.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَةً﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بني إسرائيل أئمة، وهي جمع إمام، الإمام الذي يؤتم به في خير أو شر، وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير، يؤتم بهم ويهتدى بهديهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ قال: رؤساء في الخير. **وقوله:** ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يقول تعالى ذكره: يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم بإذننا لهم بذلك، وتقويتنا إياهم عليه.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ يقول: وكانوا أهل يقين بما دلتهم عليه حججنا، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق، وإيمان برسئنا، وآيات كتابنا وتنزيلنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيهِ وزواجره وتصديق رسله وأتباعهم فيما جاؤوهم به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. ثم لما بدلوا وحرّفوا وأولّوا، سلبوا ذلك المقام، وصارت قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه، فلا عمل صالحًا، ولا اعتقاد صحيحًا؛ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ قال قتادة وسفيان: لما صبروا عن الدنيا. وكذلك

قال الحسن بن صالح.

قال سفيان: هكذا كان هؤلاء، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماماً يُقتدى به

حتى يتحامي عن الدنيا.

قال وكيع: قال سفيان: لا بد للدين من العلم، كما لا بد للجسد من الخبز.

وقال ابن بنت الشافعي: قرأ أبي علي عمي -أو: عمي على أبي- سئل

سفيان عن قول علي عليه السلام: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ألم

تسمع قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾، قال: لما أخذوا

برأس الأمر صاروا رؤوساً.



س: من هؤلاء الأئمة الإسرائيليين الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ

أُمَّةً﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنهم أنبياء بني إسرائيل.

وقال آخرون: إنهم العلماء والفقهاء العاملون من بني إسرائيل، والله أعلم.



س: في قوله تعالى: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ قراءتان وضحهما؟

ج: القراءتان هما (لَمَّا)، و(لِمْأ).

قال الطبري رحمته الله:

وقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء

المدينة والبصرة، وبعض أهل الكوفة (لَمَّا صَبَرُوا) بفتح اللام وتشديد الميم،

بمعنى: إذ صبروا، وحين صبروا، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (لِمْأ) بكسر

اللام وتخفيف الميم بمعنى: لصبرهم عن الدنيا وشهواتها، واجتهادهم في

طاعتنا، والعمل بأمرنا، وذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود (بِمَا صَبَرُوا) وما إذا كسرت اللام من (لِمَا) في موضع خفض، وإذا فتحت اللام وشددت الميم، فلا موضع لها؛ لأنها حينئذٍ أداة.

والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وتأويل الكلام إذا قرئ ذلك بفتح اللام وتشديد الميم، وجعلنا منهم أئمة يهدون أتباعهم بإذننا إياهم، وتقويتنا إياهم على الهداية، إذ صبروا على طاعتنا، وعزفوا أنفسهم عن لذات الدنيا وشهواتها. وإذا قرئ بكسر اللام على ما قد وصفنا.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: أن الرسل وأئمة الخير والهدى لما دعوا بني إسرائيل إلى طريق الحق والرشاد والهدى والإيمان اختلفوا فمنهم من اتبع الهدى ومنهم من ضل عنه وحاد، فأخبر الله ﷻ أنه يفصل بينهم يوم القيامة، ويقضى بينهم فيما اختلفوا فيه في الدنيا من أمور الاعتقادات والأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّنَّهُمْ يَبْنَتُ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ [الجاثية: ١٧].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ﴾ في الدنيا ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمور الدين والبعث

والثواب والعقاب، وغير ذلك من أسباب دينهم، فيفرق بينهم بقضاء فاصل بإيجابه لأهل الحق الجنة، ولأهل الباطل النار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي يقضي ويحكم بين المؤمنين والكفار فيجازي كلا بما يستحق وقيل: يقضي بين الأنبياء وبين قومهم حكاه النقاش.



س: وضح معنى قوله تعالى ﴿أَوْلَمْ يَهْدِهِمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - : أولم تُبَيِّنْ لهؤلاء المكذبين القرون الكثيرة التي أهلكتنا قبلهم وأبقينا آثارهم فإنهم - أي: الذين هم أحياء - يرون آثار المتقدمين الذين أفناهم الله ﷻ وأبادهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَنُؤْمِنُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَيَالَيْلُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصفات: ١٣٧-١٣٨]، وكما قال تعالى في شأن ديارٍ أهلكتها وأفناها - ﴿وَإِنَّهَا لَسَبِيلٌ مَّقِيمٌ﴾، أي بطريق يراها المارة أثناء سفرهم وعودهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: أولم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية، بتكذيبهم بالرسل ومخالفتهم إياهم فيما جاؤوهم به من قويم السبل، فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر؟ ﴿هَلْ يُحِْسُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨]؛ ولهذا قال: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ أي: وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين فلا يرون فيها أحدا ممن كان يسكنها

ويعمرها، ذهبوا منها، ﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ [الأعراف: ٩٢] ، كما قال: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢] ، وقال: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرُؤُا مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٥، ٤٦] ؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: إن في ذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل، ونجاة من آمن بهم، آيات وعبراً ومواعظ ودلائل متظاهرة.

﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: أخبار من تقدم، كيف كان أمرهم؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

﴿يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ يحتمل الضمير في يمشون أن يعود على المشين في مساكن المهلكين أي وهؤلاء يمشون ولا يعتبرون ويحتمل أن يعود على المهلكين فيكون حالاً والمعنى: أهلكتناهم ماشين في مساكنهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ آيات الله وعظاته فيتعظون.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

أولم يبين لهم إهلاكنا القرون الخالية من قبلهم، سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا، فيتعظوا وينزجروا. وقوله: ﴿كَمْ﴾ إذا قرئ ﴿يَهْدُ﴾ بالياء، في موضع رفع بيهد. وأما إذا قرئ ذلك بالنون (أولم يهد) فإن موضع ﴿كَمْ﴾ وما بعدها نصب.

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ أولم يبين لهم كثرة إهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون في بلادهم وأرضهم، كعاد وثمرود.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿أَوْلَم يَهْدِهِمْ كَمَا أَهَلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ عاد و ثمود، وأنهم إليهم لا يُرجعون.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في خلاء مساكن القرون الذين أهلكتناهم من قبل هؤلاء المكذبين بآيات الله من قريش من أهلها الذين كانوا سكانها وعمّارها بإهلاكنا إياهم لما كذبوا رسلنا، وجحدوا بآياتنا، وعبدوا من دون الله آلهة غيره التي يمرّون بها فيعابونها، لآيات لهم وعظمت يتعظون بها، لو كانوا أولي حجا وعقول، يقول الله: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ عظمت الله وتذكيره إياهم آياته، وتعريفهم مواضع حججه؟



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوْلَم نَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - أولم ير هؤلاء المكذبون بالبعث المنكرون للحساب أننا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات عليها، والتي علاها الغبار فنخرج به زرعاً يأكلون من ثمره وتأكل منه أنعامهم أفلا يرون ذلك واضحاً جلياً أمامهم فيستدلون بذلك على قدرتنا على البعث. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم ير هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت، والنشر بعد الفناء، أننا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، وأصله من قولهم: ناقة جرز: إذا كانت تأكل كل شيء، وكذلك الأرض الجروز: التي لا يبقى على ظهرها شيء إلا أفسدته، نظير أكل الناقة الجراز كل

ما وجدته، ومنه قولهم للإنسان الأكل: جَرُوز، كما قال الراجز:

خَبَّبَ جَرُوزًا وَإِذَا وَيَأْكُلُ التَّمْرَ وَلَا يَلْقَى النُّوَى

ومنه قيل للسيف إذا كان لا يبقى شيئاً إلا قطعه سيف جراز، فيه لغات أربع: أرض جُرُز، وجرز، وجرز، وجرز، والفتح لبني تميم فيما بلغني. **وأورد بسند صحيح عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾** أرض باليمن.

وبإسناد حسن عن قتادة: ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ المغبرة.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ قال: الأرض الجرز: التي ليس فيها شيء، ليس فيها نبات، وفي قوله: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨] قال: ليس عليها شيء، وليس فيها نبات ولا شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فنخرج بذلك الماء الذي نسوقه إليها على يسها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعاً خضراً، تأكل منه مواشيتهم، وتغذى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفلا يرون ذلك بأعينهم فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التي بها فعلت ذلك لا يتعدّر عليّ أن أحيي بها الأموات، وأنشرهم من قبورهم، وأعيدهم بهيئاتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أي أولم يعلموا كمال قدرتنا بسوقنا الماء إلى الأرض اليابسة التي لا نبات فيها لنحييها. الزمخشري: الجرز الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء وإما لأنه رعي

وأزيل ويقال للتي لا تثبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾.

وقال رحمه الله:

﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾ أي بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ﴾ من الكلاب والحشيش ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ من الحب والخضر والفواكه ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: يبين تعالى لطفه بخلقه، وإحسانه إليهم في إرساله الماء إما من السماء أو من السبح، وهو: ما تحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته؛ ولهذا قال: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾، وهي التي لا نبات فيها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَعَلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]، أي: يبسًا لا تثبت شيئًا وليس المراد من قوله: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أرض مصر فقط، بل هي بعض المقصود، وإن مثلها كثير من المفسرين فليست المقصودة وحدها، ولكنها مرادة قطعًا من هذه الآية، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطرًا لتهدمت أبنيتها، فيسوق الله إليها النيل بما يتحملة من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيغشى أرض مصر، وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء، وذلك الطين أيضًا لينبت الزرع فيه، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود ابتداء.

وقال ابن كثير أيضًا:

﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا نُسُوفُ الْمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَبْيَأْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَلَكَهًا وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) ﴿ [عبس: ٢٤-٣٢]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

وقال:

قلت: وهذا كقوله: ﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) ﴿ [يس: ٣٣-٣٥].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْعَمَلِ إِنَّهُ لَمَنْكُرٌ مُّسْتَنْظِرٌ ﴾ (٢٨) قَدْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَمْرٌ مِنْهُمْ وَأَنْظُرَ لِيَوْمِهِمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿ (٣٠) .

ج: المعنى - والله أعلم -: ويقول هؤلاء المكذبون بالبعث المنكرون للشواب والعقاب الجاحدون وحدانية الله المستبعدون لوقوع يوم القيامة، يقولون على سبيل السخرية والاستهزاء والتكذيب، متى هذا اليوم الذي يحصل فيه القضاء بيننا وبينكم يا أهل الإيمان؟ متى هذا القضاء والفصل، اتتونا به، عجلوا به، يأتي جواب ذلك من الله لنبه ﷺ ولأهل الإيمان، قل يوم القيامة، الذي هو يوم الفصل إذا جاء وإذا حلّ ووقع لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا آمنوا عند حلوله، وإذا لم يؤمنوا قبل موتهم، وكذا فإنهم لا يؤخرون عن العذاب.

فأعرض عنهم يا رسول الله في دنياك إذ قالوا لك ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ ..﴾
وانتظر يا رسول الله ماذا سيحل بهم من العقاب من جراء كلامهم هذا الذي
تكلموا به، وانتظر هلاكهم فإنهم يتربصون بك وينتظرون هلاكك، قال تعالى:
﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَرِئُصْ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ هؤلاء المشركون بالله يا محمد، لك:
﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ واختلف في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: متى يجيء
هذا الحكم بيننا وبينكم، ومتى يكون هذا الثواب والعقاب.
وأورد بإسناد حسن عن قتادة: في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾ قال: قال أصحاب نبي الله ﷺ: إن لنا يوماً أو شاك أن نستريح فيه
وننعم فيه. فقال المشركون: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

وقال آخرون: بل عنى بذلك فتح مكة.

والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه: ويقولون متى يجيء هذا
الحكم بيننا وبينكم، يعنون العذاب، يدل على أن ذلك معناه قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ
الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ولا شك أن الكفار قد كان جعل الله
لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده، ولو كان معنى قوله: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ على ما
قاله من قال: يعني به فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح
مكة، ولا شك أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة،
ونفعهم بالإيمان به وبرسوله، فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل، وفساد
ما خالفه. وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعني: إن كنتم صادقين في الذي

تقولون، من أنا معاقبون على تكذيبنا محمدا ﷺ، وعبادتنا الآلهة والأوثان.
وقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم يوم
 الحكم، ومجيء العذاب: لا ينفع من كفر بالله وبآياته إيمانهم الذي يحدثونه في
 ذلك الوقت.

وأورد بإسناد صحيح، عن ابن زيد قال: في قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾ قال: يوم الفتح إذا جاء العذاب.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يقول: ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة. وقوله:
 ﴿فَاعْرَضْ عَنْهُمْ وَأَنْظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: فأعرض يا
 محمد عن هؤلاء المشركين بالله، القائلين لك: متى هذا الفتح المستعجلك
 بالعذاب، وانتظر ما الله صانع بهم، إنهم منتظرون ما تعدهم من العذاب
 ومجيء الساعة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿فَاعْرَضْ عَنْهُمْ وَأَنْظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾
 يعني يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى مخبراً عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم، وحلول غضبه
 ونقمته عليهم، استبعاداً وتكذيباً وعناداً: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ؟ أَي:
 متى تنصر علينا يا محمد؟ كما تزعم أن لك وقتاً تدال علينا، ويُنْتَقِمَ لكَ مِنَّا،
 فمتى يكون هذا؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين!

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ أي: إذا حلَّ بكم بأس الله وسخطه
 وغضبه في الدنيا وفي الأخرى، ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، كما

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ نُهُم رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٣-٨٥] ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذَا الْفَتْحِ فَتْحَ مَكَّةَ فَقَدْ أْبَعَدَ النَّحْطَةَ ، وَأَخْطَأَ فَأَفْحَشَ ، فَإِنَّ يَوْمَ الْفَتْحِ قَدْ قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِسْلَامَ الْبَلَدِ ، وَقَدْ كَانُوا قَرِيبًا مِنْ أَلْفَيْنِ ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ فَتْحَ مَكَّةَ لَمَا قَبِلَ إِسْلَامَهُمْ ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْفَتْحَ الَّذِي هُوَ الْقِضَاءُ وَالْفُضْلُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَافْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَبَجَّيْ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٨] ، وَكَقَوْلِهِ: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتْحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٦] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَسْتَفْتِحُكُمْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ١٥] ، وَقَالَ: ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة: ٨٩] ، وَقَالَ: ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَ كُفْرًا ﴾ [الأنعام: ١٩] .

ثم قال: ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ أي: أَعْرَضَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَبَلَّغَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، كَقَوْلِهِ: ﴿ أَلَيْعَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٠٦] ، وَانْتَظِرْ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، وَسَيَنْصِرُكَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ ، إِنَّهُ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ .

وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ أي: أَنْتَ مُنْتَظِرٌ ، وَهُمْ مُنْتَظَرُونَ ، وَيَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ الدَّوَائِرَ ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَّبِعُهُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴾ [الطور: ٣٠] ، وَسَتَرَى أَنْتَ عَاقِبَةَ صَبْرِكَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَدَاءِ رِسَالَةِ اللَّهِ ، فِي نَصْرَتِكَ وَتَأْيِيدِكَ ، وَسَيَجِدُونَ غَيْبَ مَا يَنْتَظِرُونَهُ فِيكَ وَفِي أَصْحَابِكَ ، مِنْ وَبِيلِ عِقَابِ اللَّهِ لَهُمْ ، وَحُلُولِ عَذَابِهِ بِهِمْ ، وَحُسْبِنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾.

أظهر أقوال أهل العلم عندي هو أن الفتح في هذه الآية الكريمة هو الحكم والقضاء، وقد قدمنا أن الفتح: القاضي، وهي لغة حميرية قديمة، والفتاحة: الحكم والقضاء، ومنه قوله:

أما مبلغ عمرًا رسولاً بأي عن فتاحتكم غني

وقد جاءت آيات تدل على أن الفتح الحكم؛ كقوله تعالى عن نبيه شعيب: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، أي: احكم بيننا بالحق، وأنت خير الحاكمين.

وقوله تعالى عن نبيه نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمٌ كَاذِبُونَ﴾ (١١٧) فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ﴿١١٨﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨]، أي: احكم بيني وبينهم حكماً. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]، أي: إن تطلبوا الحكم بهلاك الظالم منكم، ومن النبي ﷺ فقد جاءكم الفتح، أي: الحكم بهلاك الظالم وهو هلاكهم يوم بدر؛ كما قاله غير واحد. وقد ذكروا أنهم لما أرادوا الخروج إلى بدر، جاء أبو جهل، وتعلق بأستار الكعبة، وقال: اللَّهُمَّ إنا قطان بيتك نسقي الحجيج، ونفعل ونفعل، وإن محمداً قطع الرحم وفرق الجماعة، وعاب الدين، وشم الآلهة، وسفّه أحلام الآباء، اللهم أهلك الظالم منا ومنه، فطلب الحكم على الظالم، فجاءهم الحكم على الظالم فقتلوا بيدر، وصاروا إلى الخلود في النار، إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى قول من قال من أهل العلم: إن المراد بالفتح في الآية الحكم والقضاء بينهم يوم القيامة، فلا إشكال في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾، وعلى القول بأن المراد بالفتح في الآية الحكم بينهم في الدنيا بهلاك الكفار، كما وقع يوم بدر. فالظاهر أن معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾، أي: إذا عاينوا الموت وشاهدوا القتل، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَهَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٨]، وقوله تعالى في فرعون: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَإِلَهِ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠) ﴿ءَأَكْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠-٩١]. ولا يخفى أن قول من قال من أهل العلم: إن الفتح في هذه الآية فتح مكة أنه غير صواب، بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾ ومعلوم أن فتح مكة لا يمنع انتفاع المؤمن في وقته بإيمانه، كما لا يخفى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ قيل: معناه فأعرض عن سفههم ولا تجبهم إلا بما أمرت به ﴿وَأَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ أي انتظر يوم الفتح يوم يحكم الله لك عليهم ابن عباس: فأعرض عنهم أي عن مشركي قريش مكة وأن هذا منسوخ بالسيف في براءة في قوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وانتظر أي موعدي لك قيل: يعني يوم بدر ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ أي ينتظرون بكم حوادث الزمان وقيل: الآية غير منسوخة إذ قد يقع

الإعراض مع الأمر بالقتال كالهذنة وغيرها وقيل : أعرض عنه بعد ما بلغت الحجة وانتظر إنهم منتظرون إن قيل : كيف ينتظرون القيامة وهم لا يؤمنون ؟ ففي هذا جوابان : أحدهما : أن يكون المعنى إنهم منتظرون الموت وهو من أسباب القيامة فيكون هذا مجازا والآخر : أن فيهم من يشك وفيهم من يؤمن بالقيامة فيكون هذا جوابا لهذين الصنفين والله أعلم وقرأ ابن السميع : (إنهم منتظرون) بفتح الظاء ورويت عن مجاهد و ابن محيصن قال الفراء : لا يصح هذا إلا بإضمار مجازه : إنهم منتظرون بهم قال أبو حاتم : الصحيح الكسر أي انتظر عذابهم إنهم منتظرون هلاكك وقد قيل : إن قراءة ابن السميع بفتح الظاء معناها : وانتظر هلاكهم فإنهم أحقأ بأن ينتظر هلاكهم يعني أنهم هالكون لا محالة وانتظر ذلك فإن الملائكة في السماء ينتظرونه؛ ذكره الزمخشري وهو معنى قول الفراء والله أعلم .



MOSTAFAAH.COM